الأستاذة: كعبش ريمة

المقياس: مقاربات نقدية معاصرة

السنة: الثانية ليسانس

التخصص: دراسات أدبية

بتاريخ:08 -04-2021

التطبيق رقم:5 سوسيولوجيا النص عند ميخائيل باختين و بيير زيما

1- التعريف بميخائيل باختين:

ميخائيل باختين 1895. 1975 فيلسوف و لغوي و منظر أدبي روسي سوفييتي. ولد في مدينة أريول، درس فقه اللغة و تخرج عام 1918. و عمل في سلك التعليم و أسس «حلقة باختين» النقدية عام1921.

اعتقل عام 1929 بسبب ارتباطه بالمسيحية الأرثوذكسية، و نفي إلى سيبيريا مدة ست سنوات. بدأ عام 1936 التدريس في كليّة المعلمين في سارانسك .ثم أصيب بالتهاب أدّى إلى بتر ساقه اليسرى عام 1938. عاد باختين بعدها إلى مدينة لينغراد بطرسبرغ، و عمل هناك في معهد تاريخ الفن، الذي كان أحد معاقل «الشكلانيين» الروس، ثم عاد إلى سارانسك حيث عمل أستاذا في جامعتها.

استقر منذ عام 1969في كليموفسك إحدى ضواحي موسكو بعد أن تدهورت صحته و راح يكتب في مجلاتها و خاصة «قضايا الأدب Voprosy Literatury «و«السياقKontekst .

أعماله:

بدأ باختين الكتابة و النشر بعد تخرجه من الجامعة مباشرة، فصدرت مقالته الأولى: «الفن والمسؤولية» عام 1919، ثم صدر كتابه الشهير «مشكلات في شعرية دستويِفْسكي Problems of Dostojevskys Poeticsفي مدينة لينغراد (بطرسبرغ) عام 1929. و نشر باختين بعض مقالاته وثلاثة من كتبه بأسماء مستعارة: «فولوشينوف وميدفيديف». و دافع عام 1940 في المعهد الأدبي التابع لأكاديمية العلوم (السوفييتية) في موسكو عن رسالة دكتوراه عنوانها: «إبداع فرانسوا رابليه و الثقافة الهزلية الشعبية في العصور الوسطى و عصر النهضة». و قد صدرت هذه الرسالة في كتاب بعد خمس و عشرين سنة من كتابتها عام 1965.

و هناك أعمال لباختين لم تر النور إلا بعد وفاته، لذا لم يبدأ العالم بالتعرف إليه إلا بعد خمسين عاما من التعتيم حوله، و لم يحظ باختين بالشهرة إلا في نهاية حياته بعد إعادة نشر كتابه «مشكلات في شعرية دستويِفْسكي» عام 1973، و نَشر كتابه «إبداع فرانسوا رابليه «... الذي صدر في موسكو عام 1965، و ترجم إلى الإنكليزية عام 1986 بعنوان «رابليه و عالمه Rabelais and His World .

2- سوسيولوجيا النص عند ميخائيل باختين:

إذا كان تينيانوف أقام رابطا ألسنيا بين الأدبي و الاجتماعي، فإن ميخائيل باختين هو الذي أرسى قواعد علم اجتماع النص، فهو المؤسس الأول لعلم اجتماع النص الأدبى، أو حتى علم اجتماع الشكل الأدبى، من خلال نظريته القائلة: إن غالبية ملفوظات الخطاب لا يمكن أن تدرك إلا في سياق حواري، من مثل الردود الإثباتية و النقدية، أو تلك المثيرة للجدل بين الخطب المتداخلة للآخرين. و على هذا النحو فإنّ خطاب الكاتب، أو بكلام آخر فاعل التلفظ، يتشكل أولا بالنسبة إلى خطاب الآخر و حضوره. و يستتبع ذلك أن نرى إلى المجتمع على أنه شبكة مترامية الأطراف من العلاقات الحوارية بين الكتّاب و بين خطبهم.

و كان كل من باختين و فولوشينوف قد وصفا تعدّد الأصوات المجتمعية و الألسنية بالقول: «في الواقع، ليس ما نلفظه أو نسمعه مجرّد كلمات، و إنما هي حقائق أو خرافات، أو هي أمور حسنة أو سيئة، مهمة أو مبتذلة، مستحسنة أو مستكرهة... فلطالما حمّلت الكلمة مضمونا، أو معنى إيديولوجيا، أو وقائعيا».

لقد تعرض باختين فى دراساته لنظرية الانعكاس المباشر التى كانت شائعة فى الإتحاد السوفييتى فى مرحلة الثلاثينيات، و أكد أن الأدب ليس انعكاسا آليا للمجتمع بقدر ما يكون الفن " تعبيرا اجتماعيا مرتبطا بما هو خارج الوعي الفردي، و أن الوعي الذاتي لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال الوعي الجماعي.

و عليه نستطيع القول إن باختين أدرك أهمية الرواية كعمل فني نستطيع من خلاله أن ندرك جميع فئات المجتمع الدنيا، و هو ما جعله يرى أهمية الأشكال الشعبية و الدونية كمادة توضح نظم الصراع الموجودة داخل المجتمع.

تحدث باختين عن الموضوع الجمالي كما يحدد ذلك د. محمد علي الكردي فرأى أن الموضوع الجمالى "ليس مبدأ ميتا فيزيقيا سابقا على الخلق الفني، إذ أنه الواقع الحي و الملموس لحركة الوعي الخلاقة، و هي حركة تتشكل، على الطريقة الظاهراتية، داخل مواقف معرفية و أخلاقية ماثلة دائما من قبل.

إن الوعي الخلاق يدمج، فى تكوينه للموضوع الجمالي، بين اللحظة التقويمية أو المعيارية، و وصفية الحدث أو الظاهرة التي يتناولها بالمعالجة فى إطار لغة رمزية."

طبق باختين آراءه على أعمال رابليه فى رسالة الدكتوراه التى قدمها عام 1965م على دستوفسكي و ستخلص من خلال دراسته شكلين من أشكال الرواية هما:

-الشكل الكرنفالى.

-شكل الرواية المتعدد الأصوات (أي الحوار الذي على شكل ديالوج بين الكاتب و شخوصه الغائبة وشخوصه الحاضرة.

2- التعريف ببيير زيما:

ولد بيير زيما في براغ سنة 1946 و درس علم الاجتماع و الأدب في جامعة إدنبرج بباريس . و عمل بجامعات بيلفيلد و كلاجتفورت بالنمسا و معهد الأدب العام بجامعة جروننج بهولندا، و قد وضع هذا الكتاب: **النقد الاجتماعي : نحو علم اجتماع للنص الأدبي عام** 1986، و حاول فيه أن يقدم علم اجتماع الأدب كعلم متكامل و قد جاء الكتاب في جزئين: الجزء الأول حمل عنوان مناهج و نماذج، تنقل فيه الناقد بين مناهج النقد الأدبي السائدة بتركيز شديد، و في الجزء الثاني دخل بنا إلى علم اجتماع النص مقدما لنا نظريات النقاد و الفلاسفة المؤسسين لعلم اجتماع النص الأدبي، عارضا تطبيقات هذه النظريات على نماذج من الأدب العالمي و خاصة الرواية.

2- سوسيولوجيا النص عند بيير زيما:

إستطاع زيما أن يتخطى مرحلة التأثر بباختين إلى مرحلة الإضافة و الابتكار و التفسير، فلم يعد همه من دراسة النص فقط دراسة المجتمع و حسب، بل نجده يهتم بمسألة معرفة كيف تتجسد القضايا الاجتماعية و المصالح الجماعية في المستويات الدلالية و التركيبية و السردية للنص.

حرص باختين على ضرورة تجسيد و تحديد جوانب الصراعات الطبقية في المجتمع الواحد، إذ يؤكد على ضرورة إيضاح أوضاع الطبقات الاجتماعية و صراعاتها.

إن زيما بذلك استطاع أن يقدم منهجا نقديا تحليليا سوسيولوجيا قوامه ليس فقط الإنغلاق على النص، بل الخروج عن النص إلى دائرة المجتمع و الجمهور و المستقبل لهذا النص، غير أن البعض يوجه النقد إلى منهج زيما النقدي، ويرون أن تأكيد زيما على النص وحده على اعتبار أنه لغة و ليس أكثر من ذلك أمر غير صحيح، ذلك أن النص يتكون من عدد من الأنساق المتعددة من العلامات منها ما هو علامات لغوية أو غير لغوية (كما فى مجال السيميولوجيا- السيمياء- السيبموطيقا- علم العلامات.)

إن زيما لم ينس أن النص الأدبي ليس كالوثيقة التاريخية التي يعتمد فيها المؤرخ على التأكيد على صحة هذا الأمر من عدمه، بل يظل الأدب قادرا على تجاوز هذه المرحلة.

ومما سبق نستخلص أنه:

عند استخدام هذا المنهج النقدي مثلا في دراسة النص المسرحي، فإننا نعتقد أن الناقد المسرحي سينجح فى تحقيق جانب هام و حيوي يتمثل في كيفية تطويع هذا المنهج من أجل تحليل بنية هذا النص التكوينية، على أننا نرى أن القصور سيتبلور فيما يتعلق بالجانب الشكلي، إذ أننا سنحلل مضمون العمل دونما الإقتراب من الشكل.

و عليه، فنحن في حاجة إلى تحليل النص على مستوى المضمون و الشكل دونما الإقتصار على أحدهما كما فى المنهج الشكلي الذي يركز على الشكل دون المضمون أو كما في المنهج السيوسيولوجي (البنيوي التكويني) الذي يركز على المضمون دون الشكل.

إن نقاد البنيوية التكوينية (نقاد السوسيولوجيا) سعوا من خلال أعمالهم "إلى إرساء قواعد المفهوم الماركسي"- المتطور- فى تناول النص الأدبي، و قد أكدت هذه الأعمال على أهمية العنصر الإجتماعي في الأدب، بوضع الدوافع الاجتماعية الثابتة التي ينتمي إليها المضمون الأدبى، أمام العناصر الأسلوبية المتغيرة التى ينتمي إليها الشكل الأدبى، هذا بإبقاء النص الأدبي مجملا لمواجهة دائمة، أو جدل دائم، بين المضمون والشكل، و نتيجة لذلك نما الوعي النقدي بضرورة إيجاد نوع من توازن كل الظروف و العناصر التي تبقي المضمون و الشكل متفاعلين.

مراجع الدرس:

- ينظر: أحمد صقر: قراءة في مناهج النقد المعاصر ... المنهج السوسيولوجي(مقال إلكتروني)
- ينظر: http://alhayat.com/Details/510059
- ينظر: ميخائيل باختين : الخطاب الروائي
- ينظر: ميخائيل باختين: المبدأ الحواري
- ينظر: بيير زيما: النقد الاجتماعي ترجمة عايدة لطفي
- ينظر: بيير زيما: النص و المجتمع(آفاق علم اجتماع النقد)، ترجمة أنطوان أبو زيد